Unknown Title

سجل عن طريق

اشترك بالنشرة البريدية

أوافق على الشروط والأحكام

هل نسيت كلمة المرور؟

أدخل عنوان بريدك الإلكتروني المستخدم للتسجيل معنا و سنقوم بإرسال بريد إلكتروني يحتوي على رابط لإعادة ضبط كلمة المرور.

شكرا

الرجاء مراجعة بريدك الالكتروني. تمّ إرسال بريد إلكتروني يوضّح الخطوات اللّازمة لإنشاء كلمة المرور الجديدة.

تشكل سيرة حياة الشهيد باسل شحادة القصيرة (الذي تمر ذكرى استشهاده هذه الأيام) سيرة الثورة السورية السلمية بنهايتها المؤسفة والحزينة مثل نهايته. حين بدأت الثورة كان باسل في السابعة والعشرين من عمره، ويمكن القول إنه كان في ربيع شبابه، مثله مثل شباب الربيع العربي كلهم. انخرط باسل شحادة في كل تفاصيل الثورة السورية السلمية منذ ما قبل انطلاقة الثورة السورية، منذ بداية الربيع العربي، حين نظم وشارك في كل الوقفات المضادة

للأنظمة القمعية والمناصرة للشباب العربي في ربيعه. وحين انطلقت الثورة السورية كان في طليعة شبابها، في التنظيم وفي التخطيط لآليات النضال السلمي والمظاهرات السلمية، وفي التوثيق عبر الكاميرا التي كان يحملها دائمًا رغم أنه خريج كلية الهندسة المعلوماتية، وفي المشاركة في المظاهرات (اعتقل أثناء مشاركته بما عرف بمظاهرة المثقفين في حي الميدان الدمشقي). كان باسل مثل غيره كثر من شباب سورية في ذلك الوقت مؤمنا بضرورة التغيير، ومؤمنًا بضرورة أن يتحقق مستقبل آخر لسورية، ومؤمنا أن الشعب السوري يستحق مصيرًا أفضل وأن هذا المصير لن يحدث إلا بقرار موحد من السوريين جميعًا، لهذا ظل مؤمنا أن الاصطفافات التي حصلت عند انطلاق الثورة لا بد وأن تنتهي قريبًا، حين يتبنى الجميع خطابًا ثوريًا وطنيًا تغييريًا ديموقراطيًا مدنيًا، وفي الواقع أن إيمانا كهذا كان هو العامل المشترك والموحد للرعيل الأول من الثورة السورية، رعيل السنة الأولى قبل بدء العسكرة الممنهجة وخطاب الجهاد وظهور الكتائب السلفية الجهادية وانتشارها على الأرض السورية وتحديدًا في الأماكن التي ثارت ضد النظام.

في منتصف عام 2011 أتيحت لباسل شحادة منحة لدراسة الإخراج السينمائي، الذي كان مولعًا وموهوبًا به، في الولايات المتحدة الأميركية، ونتيجة الضغط الذي مورس عليه من عائلته، خصوصًا بعد اعتقاله في مظاهرة المثقفين، رضخ للأمر وغادر إلى الولايات المتحدة التحاقًا بالمنحة، لكنه لم يحتمل الأمر وسرعان ما عاد إلى سورية مبررًا عودته بأنه "يخشى أن يخجل منه أطفاله في المستقبل إذا عرفوا أنه غادر وطنه حين قامت الثورة ليهتم بمستقبله فأين هو المستقبل بدون وطن حر". وفي أثناء وجوده في أميركا التقى عددًا من المثقفين والمفكرين الأميركيين صور معهم وثائقيًا عن الثورة السورية والربيع العربي (نعاه بعضهم بعد انتشار خبر اغتياله). وبعد عودته تنقل باسل في كل المحافظات السورية الثائرة حاملا كاميرته محاولًا توثيق الانتهاكات التي يتعرض لها السوريون من قبل النظام وراصدًا العنف غير المسبوق الذي يعتمده النظام في قمعه للثورة، حتى انتهى به المطاف في حي باب السباع في مدينة حمص التي كانت قبلة الثوار السلميين تلك الفترة، ليستشهد مع عدد من رفاقه وأصدقائه بقصف عنيف من قوات النظام على باب السباع، وكأنه عاد من أميركا إلى سورية ليلقى مصيرًا مشابهًا لمصائر جميع المتسوقين مع أفكارهم الثورية.

https://youtu.be/nIqJQEyJSbc

هذه الرحلة الممتدة لعام تقريبًا بكل ما فيها، تصلح لأن تكون تلخيصًا للثورة السورية في عامها الأول، أو لنقل تلخيصًا للثورة السلمية التي انتهت في حمص على يد كتيبة الفاروق (أول فصيل مسلح منظم وممول من الخارج) التي تم الإعلان عن تشكيلها في نهاية شهر آذار/ مارس 2012، أي قبل اغتيال باسل شحادة ورفاقه بقليل. كانت كتائب الفاروق وقتها تعلن عن نفسها بأنها فصيل ثوري مسلح يهدف لإسقاط النظام السوري بأي طريقة، خطابها ذاك كان مقبولًا من غالبية الثوار لكن سرعان ما تحول الخطاب شبه المدني إلى خطاب أيديولوجي سلفي بعد أن تغيرت أجندات الممولين، ومع تغير خطاب الفاروق بدأت تتفرع منه كتائب أخرى تزداد تطرفًا وسلفية يوما بعد يوم، اتضح لاحقًا مع ظهور جبهة النصرة أنها كلها كانت فروعًا من الجبهة، وشيئا فشيئا بدأت

الثورة السلمية الشعبية ذات الخطاب المدني الديموقراطي تنسحب لصالح الثورة المضادة العسكرية الجهادية التي تتبنى خطابًا طائفيًا كان لمدة أكثر من عام هو ما يميز الخطاب الشعبي للنظام ومؤيديه، واللافت أن الخطاب الطائفي (الثوري) تبناه مثقفون ثوريون وروجوا له بذريعة المظلومية التي تراكمت خلال عام بفعل العنف، مثلما روجوا للسلاح وتمويله بذريعة أن لا شيء سيسقط النظام غير السلاح، مثلما روجوا سابقًا لتغيير العلم بذريعة التمييز عن علم النظام الذي ترتكب تحته كل الجرائم، وهو كان الرصاصة الأولى في جسد الثورة وأهدافها إذ تناسلت بعد ذلك الأعلام والرايات تبعًا لكل فصيل أو تبعًا للدولة الراعية لهذا الفصيل أو ذاك، وارتكبت جرائم وانتهاكات مختلفة ومتنوعة مغطاة بكل الأعلام التي ظهرت في سورية.

والحال أن تاريخ استشهاد أو اغتيال باسل شحادة ورفاقه يمكنه أن يكون هو تاريخ انتهاء الثورة السورية المدنية السلمية لصالح الثورة المضادة التي أفرزت كل الإفرازات الغريبة التي ظهرت في سورية من جهة الثورة، وكأنما كان هناك تنافس على الخراب والرداءة والسقوط بين طرفين سوريين منقسمين: طرف النظام (بادئ الخراب ومسببه) وطرف الثورة المضادة التي نسفت كل أهداف الثورة المدنية، خصوصًا بعد أن خسرت سورية وثورتها المدنية غالبية شبابها المؤمنين بها سواء بالموت أو بالاعتقال والاختفاء والتغييب أو بالهروب من سورية واللجوء إلى الدول القريبة أو دول العالم المتقدم دون أن يعطى هؤلاء أي فرصة لخدمة الثورة سياسيًا على الأقل، بعد أن سيطرت الإنتلجنسيا السورية (المترهلة) سنا وأداء على واجهة الثورة السياسية وحضورها في المحافل الدولية ولدى الدول صاحبة القرار.

باسل شحادة بسيرته الثورية ومصيره الأقرب إلى مصائر أبطال الروايات، هو أحد أفراد جيل سوري وعربي شاب كان قد أتيح له للتو اكتشاف وطنيته وطاقاته المكبوتة ورغباته بوطن عادل وحر ومجتمع معافى ومتخفف من كل الأحمال الأيديولوجية (قومية ودينية ومذهبية ومناطقية طبقية) ويكون هو الحامل لعملية التغيير المرجوة بأقل الخسائر الوطنية الممكنة، (لا يمكن تحقيق أي تغيير بدون خسائر كبرى)، لكن ما حصل هو اتفاق مضمر بين القوى المسيطرة على القرارات الدولية والمسيرة لها على اغتيال هذا الجيل واغتيال أحلامه، لصالح الخراب الناتج عن تلاقي مصالح الأنظمة الحاكمة العميقة مع مصالح الراديكالية الجهادية، المصالح التي تهدف إلى القضاء على مدنية المجتمعات العربية لصالح منظومة عسكرية سلفية أو مذهبية محافظة رافضة لكل أشكال التغيير السياسي من جهة والمجتمعي من جهة أخرى.